تنبيه ذوي الألباب

إلى الانحرافات العقدية في رسالة

(إغاثة الطلاب في مسائل العقيدة بطريقة السؤال والجواب)

كتبه

بدر بن علي بن طامي العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد أرسل إليّ بعض المحبين الفضلاء، رسالة لنكرة لا تُعرّف، ومنكرٍ لا يُعرف، عُزي جمعها إلى مجموعة من طلاب العلم، ووسمت بـ" **إغاثة الطلاب في مسائل العقيدة على السؤال والجواب**" ورسم العنوان، وما فيه من ركاكة البنيان يُنْبِيكَ عن دناءة مستوى الكاتب، فكيف وقد ضمن مكتوبه سخيف القول، وزيف المنقول؟!

وقد ألحّ علي الأخ المذكور بأن أكتب تعليقاً على هذه الرسالة يكشف ستارها، ويبين عوارها، واشترط عليّ الاقتضاب وترك الإطناب، لتيسير الاطلاع، وتسهيل الانتفاع، فأقول – على كثرة الأشغال، وانشغال البال – ولا حول ولا قوة إلا بالله الكريم المتعال:

قرأتُ الرسالة كاملة حال وصولها، ووقفت على كافة مواضيعها وفصولها، فرأيت أنها من مُدَّخَرات إرث الجهمية، ومن سلالة أفهام المعطلة المخالفين لدين خير البرية، فلم يأتِ فيها بجديد، ولم يتصل بمدلول مفهومها إلى نصوص أهل السنة والتوحيد، وإنما دار على رحى فهوم أهل التجهم والتعطيل! وحار إلى كلام المخالفين لأهل الحق والتنزيل، فما رأيتُ في رسالته كلام أئمة الإسلام! ولا جاء فيها بكلام الصحابة ولا التابعين ولا أئمة السلف ومن سار على هذا النظام، وإنما تحذلق في مجرة فلكه، وأوقعه إبليس في معرَّة شرَكه، ولولا أن مقالته من جنس المنكر الذي يجب أن ينكر مع وجود الاستطاعة، لضربت الصفح عن مضمون رسالته، لرداءة ما قال وهزالته، وقد كفينا بكلام أئمة السلف، وأعلام الخلف، في بيان انحراف الجهمية والمعطلة، ومن سار على طريقتهم من المفوضة والمؤولة، في تصانيف عديدة، وسهام سديدة، يفوق حصرها على عدّ الحسَّاب، ويعسر نقلها على أقلام الكتَّاب، وهي معروفة مشهورة، شائعة منشورة، والحمد لله على

كريم فضله، وصادق وعده، بنصره السنة وأهلها، وضربه للذل والصغار على كلّ من خالف أمر النبي ﷺ، واتبع المتشابه من كلام كلّ مفترٍ مرتاب، مجانب لقول الحق والصواب.

ثم قبل الشروع في التعليق المختصر على هذه الرسالة، أودّ التنبيه إلى أن كاتب الرسالة مجهول من أهل الجهالات، ونكرة من المبهمات، وقد قيل لي بأنه المدعو: متعب الجعيد، أحد طلاب المبتدع المفتري صالح الأسمري، فإن كان هو: فالجهالة عنه غير مرفوعة، والنكارة عنه ليست بمدفوعة، فلم يُعرف المذكور بعلم ولا دراية، ولا بمثافنة أهل العلم والولاية، ولم يعرف بأصل أصيل، وإنما ارتقى على ركن هزيل، وجاء ذكره تبعاً لذكر شيخه الأسمري، والأسمري قد ظهر فساد دينه، وانحراف عقيدته للجاهل الممتري فيها من قبل، فسقوط المتبوع يقضي بسقوط التابع لا محالة.

كما يظهر من هذه الرسالة تشبع كاتبها ببعض مقالات الغارق في الضلال المُعْدِي المدعو طارق السَّعْدِي! ﴿**ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ [النور:٤٠].

فلا يغتر بتزييف القوم فعمّا قريب سيذوبون كما يذوب الملح في الماء، فإن كان من أراد دار النبي ﷺ بمكر وكيد أذابه الله كما يذوب الملح في الماء، فكيف بمن أراد سنته ﷺ بمثل ذلك؟

ولنا في التاريخ أصدق شاهد، وأظهر عبرة، من ذوبان أهل البدع والضلالة، ورفع ذكر أهل التوحيد والسنة، والله تعالى يقول: ﴿**فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ**﴾ [الزُّخرف:٨] فكذلك مضى مثل هؤلاء، ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ**﴾ [الدُخان:٢٩]، والله المستعان وعليه التكلان.

فصل

ظاهر عنوان الكتاب يدل على أنه يُعنى ببيان مسائل العقيدة! بينما مضمونه يدور حول مسائل الصفات، ومسائل الصفات فرع من أبواب الإلهيات، والإلهيات فرع من أبواب الإيمان الذي هو الاعتقاد والإقرار الجازم.

فالكتاب إذن لا يشتمل على أبواب الاعتقاد ككتاب "الطحاوية" للطحاوي و"العقيدة الواسطية" لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ونحوه، وإنما يُعنى بخصوص مسائل الصفات، وعليها تدور أسئلته من أولها إلى آخرها.

والجهمية خلافهم مشهور في أبواب الصفات وغيرها من أصول الدين، وهذا المجهول النكرة قرر في رسالته ما قاله أسلافه من ساقط القول، وسقيم المنقول، وقد ردّ أهل السنة عليهم قديماً وحديثاً:

فليس بأول ذي همة دعته لما ليس بالنائلِ

فقد ردّ على النكرة المجهول وسلفه وجنسه: الأئمة الأعلام، في تصانيف مفردة، وأبواب ملحقة، وعلى رأسهم الأئمة الأربعة، وكذلك الأئمة الستة أصحاب الدواوين المشهورة وغيرهم.

فالبخاري بدأ "صحيحه" بالرد على الجهمية المرجئة في كتاب الإيمان، وختمه بالرد على الجهمية المعطلة بكتاب التوحيد، وبوّب: على كلّ صفة بباب مفرد، وهي التي يسميها هذا الجهمي في مقدمته بـ(الجهة والأعضاء والأدوات).

وله كتاب "خلق أفعال العباد" يضيق به عطن كل جهمي من جنس هذا المجهول، بل احترقت أكبادهم لما حدَّث به أبو الحجاج المزي تحت قبة النسر في الجامع الأموي، فسعوا إلى السلطان به حتى سجنه، فحرره من السجن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

والإمام مسلم أورد خبر النزول، وخبر العلو، وأخبار الصفات متفرقة في كتابه، وهي أخبار ظاهرها الفتنة والتشبيه عند هذا المجهول النكرة وأضرابه.

والإمام أبو داود عقد باباً في الردّ على الجهمية، وذكر لكل صفة الخبر الدال عليها، وهذا ينقض دين هذا الجهمي وأسلافه.

وفي "سؤالاته" للإمام أحمد عقد فصلاً في الرد على الجهمية، وذكر أخباراً عطرة، يأنف من شمها والقرب منها أنف هذا الجعلان المجهول وأمثاله.

والإمام الترمذي قرر خلاف عقيدة الجهمية في كتابه، بل وفيه النص على نقض مذهب المجهول النكرة –كما سيأتي إن شاء الله– بتقريره وإثباته لصفة اليد، وأن من أولها بالقدرة فهو جهمي بإجماع السلف.

والإمام ابن ماجه عقد كتاباً في الرد على الجهمية.

والإمام الدارمي في "مسنده" كذلك[1].

وأبو حاتم الرازي، وأبو زرعة الرازي، وغيرهم.

فهذه دواوين الإسلام، ومنابع الحق لجميع الأنام، تقرر هذه العقيدة، وتؤصلها للناس.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جهول المجامعُ

فمن أراد أن يقف على حقيقة مذهب هؤلاء، وأن منتهاه إنكار وجود الله تعالى فليقرأ في هذه الكتب، كقول أيوب السختياني وذكر المعتزلة: (إنما مدار القوم على أن يقولوا: ليس في السماء شيء).

وقول حماد بن زيد: (إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله).

---

[1] يراجع كتابي "تلبية الداعي بإجازتي لمحمد قاسم البقاعي" حيث ذكرت فيها تفصيل قول الأئمة في الاعتقاد؟

وقول جرير بن عبدالحميد: (كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله).

وقول وهب بن جرير: (إياكم ورأي جهم، فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء، وما هو إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر).

وقول أبي معمر إسماعيل بن إبراهيم: (آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله)، نقل ذلك كله عنهم الحافظ الذهبي في كتابه "العلو للعلي الغفار"[٢].

ولهذا لما كانت نصوص الصفات -عندهم- ظاهرها التشبيه الدال على الكفر، وأقوال السلف لا تقبل ولو (بلغوا ألف ألف رجل) كما قاله هذا المجهول النكرة، نزعوا الناس من أصل يتحاكمون إليه، ومن سلف يقتفون مساعيه، ودعوهم إلى آرائهم وأهوائهم وقواعدهم ومقالات أئمتهم لا غير!

وفي مجلس من مجالس المناظرة مع أحد الجهمية، قلت له: هب أنني وإياك في عام ٢٥٠ للهجرة، فهل تستطيع أن تقرر الاعتقاد الواجب في الصفات دون أن تأتي بنقلٍ واحد عن أحدٍ بعد هذا التاريخ؟!

فحاد عن الجواب، وعلم أنه لن يجد قبل هذا التاريخ قولاً يوافق قوله إلا قول: الجعد بن درهم، والجهم بن صفوان، وبشر المريسي وجنسهم.

كما علم إنني سوف أخنقه بكلام من سبق ذكره من السلف، ولم يذكروا الجوهر ولا العرض ولا الحيز ولا الجهة ولا الأعضاء ولا الأدوات ولا غيرها من الألفاظ التي فتنوا بها المسلمين، ومزقوا بها أديم الأمة، وإنما سيجد فيها وصف الله تعالى بالعلو على سائر المخلوقات، والسمع والبصر، والحياة والعلم، والإرادة والقدرة، والوجه واليد، والغضب والرضا، والسكوت والضحك، والنزول والإتيان، وغيرها من الصفات التي

---

[٢] انظر "مختصر العلو" للألباني (ص:١٣٢، ١٤٦، ١٥١، ١٧٠، ١٨٨).

من أنكرها فعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين، ومن مثَّلها بصفات المخلوقين المُحْدَثين فعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين، فـ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشُّورى:١١] و ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الحشر:٢٣] .

فصل

سئل النكرة المجهول بسؤال نصه: (**كيف يُعرف أهل الحق، وما هي علامتهم ؟**).

فأجاب بقوله: (يُعرف أهل الحق بكونهم على ما كان عليه سيدنا رسول الله محمد ﷺ من المنهج القويم، وعلامتهم: أن لا يكون في كلامهم عن الله تعالى ما يعيب الإله: من وصفِه بما لا يليق به من النقائص أو كمالات غيره؛ لأنها منافية للإلهية، كاعتبارِ شيء من صفاته في غيره؛ وهو يثبت الشركاء أو الظُّهراء! أو تشبيهِهِ في وجه من الوجوه بغيره؛ وهو يثبت الأشباه والأمثال والأنداد! والعياذ بالله تعالى..).

فأقول: لا شك أن الحق هو ما كان عليه النبي ﷺ، ولا يصل أحدٌ إلى معرفة هذا الحق إلا عن طريق نقلته وفهمهم، من الصحابة والتابعين وأئمة الدين، فهم نقلة الدين، وحملة الشريعة، والله تعالى يقول: ﴿**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥] ، ومشاقة الرسول ﷺ من أسباب الوعيد المذكور، وقيدها الله تعالى بمخالفة سبيل المؤمنين ليقطع إفك كلّ أفاك دعيٍّ يزعم أنه لم يشاقق الرسول ﷺ، ويأتي بأمرٍ لم يأتِ به الصحابة ولا التابعون ولا أئمة الدين.

وقد قال النبي ﷺ : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) رواه الإمام أحمد وغيره.

أما قوله المجهول النكرة: (وعلامتهم: أن لا يكون في كلامهم عن الله تعالى ما يعيب الإله: من وصفِه بما لا يليق به من النقائص أو كمالات غيره...).

فيقال: أما وصف الله تعالى بما لا يليق من النقائص، فهذا دين الإسلام، وجلّ الله وتنزه أن يوصف بالنقائص.

فهذه نتيجة لا يخالف فيها أحد، ولا ينطق بها من يقر بالإسلام ديناً، ولكن المطلوب معرفة ضابط النقص الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه.

فلا نقص إلا ما دلّ صحيح المنقول، وصريح المعقول على أنه نقصٌ يجب تنزيه البارئ عنه عز وجل، أما ما يتوهمه سخفاء الأذهان، وورثة فلاسفة اليونان، من أنه من النقص، فهذا لا يُغترّ به، ولا يُلتفت إليه من قول هؤلاء، فَنَصِفُ الله تعالى به ولو سماه هؤلاء نقصاً لأنه ورد في المنقول، ولم يدفعه بصحيح النظر المعقول، ومن هذا ما رواه الإمام أحمد في "مسنده"(١٩/ ٢٨١)(ح١٢٢٦٠) حدثنا أبو المثنى معاذ بن معاذ العنبري قال حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣] قال: قال: (هكذا يعني أنه أخرج طرف الخنصر) قال أبي أرانا معاذ، قال: فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟

قال: فضرب صدره ضربة شديدة، وقال: من أنت يا حميد، وما أنت يا حميد؟ يحدثني به أنس بن مالك عن النبي ﷺ فتقول أنت ما تريد إليه.

وقد رواه جماعة وإسناده صحيح.

وكما قال الإمام أحمد: ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، **ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت**، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ، وتثبيت القرآن[1].

أما قول المجهول النكرة فيما يجب أن ينزه عنه الله عز وجل: (أو كمالات غيره)، فإطلاق هذا القول من أظهر الباطل، لأن من صفات كمال المخلوق ما هو نقص في حق

---

[1] "لمعة الاعتقاد" (ص ٣).

الخالق، ومن صفات كمال المخلوق ما هو كمال في الخالق من باب أولى، وبيان هذا في صفتين تدل على غيرهما:

فمن صفات كمال المخلوق النوم، فهو نعمة من نعم الله تعالى، ومن حُرِمَها فهو ناقص، كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا**﴾ [النَّبأ:٩] ، ومع ذلك فقد نزه نفسه عز وجلّ عن النوم بل والسِّنَة، كما قال تعالى: ﴿**اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾ [البقرة:٢٥٥] .

ومن صفات كمال المخلوق الكلام، ومن لا يتكلم فهو أبكم ناقص، ومع ذلك عاب الله تعالى من عَبَدَ من لا يتكلم دلالة على أنه يتكلم فقال: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**﴾ [الأعراف:١٤٨] .

فالكلام كمال في المخلوق، وهو كمال في الخالق من باب أولى.

ومثله السمع، فهو نعمة من الله تعالى للمخلوق، كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [النحل:٧٨] ، وعاب الله آلهة المشركين أنها ناقصة لا تسمع فقال على لسان نبيه إبراهيم ﷺ: ﴿**قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ**﴾ [الشعراء:٧٢] .

فالسمع كمال في المخلوق، وهو كمال في الخالق من باب أولى.

ولهذا نظائر عدة فيما يجب أن يوصف الله تعالى به، وفيما يجب أن ينزه عنه، فتبين بذلك بطلان هذا الإطلاق من هذا المرتاب، وأن إطلاقه سببٌ لغواية أولئك الطلاب الذين أراد إغاثتهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فصل

قال المجهول النكرة في صفات أهل الحق: (وأن لا يكون في كلامهم بدين الله تعالى وشريعته إلا ما كان في نصوص الدين برهان واضح عليه: فلا يُثبتون إلا ما نصَّ الدين على ثبوته اسماً أو مُسَمّى، ولا ينفون إلا ما نصّ الدّيْنُ على نفيه اسماً أو مُسَمَّى .... ولا يزيدون في دين الله تعالى إلا ما أذن لهم به مما يندرج في أصل عامّ وكان له مستند في الدين ، ولا يُنْقِصون منه شيئاً).

فيقال: هذا الكلام حجة على المجهول النكرة، فقد خالفه من قريب، ووصف الله تعالى بما لم ينص الشارع عليه، ونفى ما لم ينفه الشارع، فإن كان يزعم هذا فأين في كتاب الله تعالى وكلام الصحابة والتابعين ما ذكره هذا المجهول وسلفه من أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجة؟! وأن الله ليس بمحسوس ولا متحيز؟! ونحو ذلك من كلام الجهمية؟

فليقم طالب الحق بمقارنة بين مصنفات أهل السنة وأهل الكلام ليرى من هم أهل الحق والإتباع، وأنصار الكتاب والسنة حقاً وعدلاً.

وسيجد أن كتب أهل السنة الذين يصفهم هذا وجنسه بالتجسيم والتشبيه هي الكتب التي تذكر نصوص الوحيين في إثبات صفات الله تعالى، وأن كتب أئمته المتقدمين والمتأخرين عرية خليّة من أخبار الصفات، مبدوءة بنفي الصفات بأن الله تعالى (ليس جوهراً ولا جسماً ولا عَرَضاً، ولا داخل العالم ولا خارجه ..) وغير ذلك من إحداثاتهم وسخافاتهم.

فصل

قال المجهول النكرة: (أنّ للدِّين ثلاثة أصول:

الأصلُ الأوَّل: الإيمان، ويُسمّى: (أصول الدِّين) و (العقيدة) و (علم التوحيد) و (علم الكلام)، وهو ستّة أركان بيّنها سيّدُنا رسول الله محمد ﷺ بقوله: (الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليوم الآخر، وتُؤمنَ بالقَدَر خَيْره وشَرِّه)رواه مسلمٌ. وذلك قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء:١٣٦]، ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩].

الأصل الثاني: الإسلام، ويُسمّى: (الفقه)، وهو خمسَةُ أركانٍ بيّنها سيّدُنا رسول الله محمد ﷺ بقوله: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَان). أخرجه البخاري وغيره.

وذلك قول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [النور:٥٤].

الأصل الثالث: الإحسان، ويسمّى: (التّصوّف) و(الأخلاق) وهو ما بيّنه سيّدُنا رسول الله محمد ﷺ بقوله: (الإِحْسَانُ : أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك) أخرجه البخاري وغيره، وذلك قوله: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:١٩٥]....).

أقول: هذا الكلام هو كلام الضال طارق السعدي، وكذلك قرره صالح الأسمري في أول عقيدته المسماة بـ"ما لا يسع المسلم جهله".

وهذا فهم مخالف لمراد رسول الله ﷺ، وفهم السلف الصالح ﷺ، وتفصيل الرد عليه، وإظهار فاسد لوازمه يطول في مثل هذا المقام، ولكن يقال على وجه الإجمال:

أن هذه مراتب الدين، وهي مترابطة متلازمة، وهي الإسلام والإيمان والإحسان، ولكل من هذه الأصول الثلاثة أصل لا يصح الدين إلا به، ومنه ما هو كمال في دين المسلم، فعندما خص (الإيمان) بالعقيدة والتوحيد منقوض بأن الله تعالى سمى بعض أفراد أركان (الإسلام) إيماناً كما قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [البقرة:١٤٣] ، والمراد الصلاة، فهي من الإيمان خلافاً لقول المرجئة والجهمية.

وكذلك عندما خص (الإسلام) بالفقه! -أي مسائل الفروع كما نص عليه الأسمري- فهذا ينقضه أن الركن الأول هو الإقرار بالشهادتين وهما أصل التوحيد والعقيدة والإيمان.

بل فسر النبي ﷺ الإيمان بما فسر به الإسلام هنا كما جاء في حديث وفد عبد القيس في الصحيح لما قال ﷺ: (هل تدرون ما الإيمانُ ؟) قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : (شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّدًا رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وأن تُؤدّوا خُمْسًا من المغنم).

فهل أخطأ النبي ﷺ وخلط (الأصول) بـ(الفروع) ؟!

بل الإيمان من الإسلام داخل في الركن الأول، والإيمان (أصل) والإسلام (فرع) عند هذا المجهول النكرة، والنبي ﷺ سئل: أيُّ الإسلام أفضل ؟ قال: الإيمان ، قال: وما الإيمان؟ ، قال: (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت) رواه الإمام أحمد في "المسند" وقال الهيثمي في "مجمع [1]الزوائد": رجاله ثقات.

فجعل النبي ﷺ الإيمان فرع من الإسلام، وهؤلاء قلبوا المعنى، ﴿**وَقَلَّبُوا لَكَ الأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾ [التوبة:٤٨] .

---

[1] (مجمع الزوائد:١/ ٥٩).

وزعمه أن الإحسان هو التصوف والأخلاق مخالف لتفسير رسول الله ﷺ حيث فسره بكلامٍ أتم وأكمل وأجمل من تفسير هذا المجهول فقال: (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

فهو كمال المراقبة لله تعالى، وعلى ذلك كلام أهل العلم قاطبة.

وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام فقال: (أن تسلم قلبك لله، وأن تولي وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة) رواه أحمد، وصححه ابن عبدالبر في "الاستيعاب".

فهل هذا خلطٌ من النبي ﷺ حيث ضم معنى الإسلام إلى الإحسان؟

وقد سمى النبي ﷺ عدداً من الأخلاق إسلاماً دلالة على أنها من الإسلام لا تخرج عن مسماه كما قال ﷺ: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه مسلم.

أما تسمية المجهول علم التوحيد والعقيدة بـ (علم الكلام) فهو من مصطلحات أهل الضلال لا من مصطلحات أهل الإيمان، لأن الكلام عند أهل السنة مذموم غير محمود، وأهله يُذمُّون ولا يحمدون، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

ويقول أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم.

فصل

قال المجهول النكرة في تفسير (الإله) : (هو المؤثر فيما سواه المستحق للعبادة).

فأقول: هذا تفسير سقيم! لأنَّ الإله هو المألوه، والمألوه هو المعبود، ومنه التأله وهو التعبد، يقول رؤبة بن العجاج:

لله درُّ الغـانيـات المدّهِ ... سبحنّ واسترجعنّ من تألهي

تألهي: أي تعبدي.

وقوله: (المؤثر فيما سواه) قيد لا ينفع، بل مخالف للقرآن والسنة وإجماع المسلمين، حيث سمى الله تعالى آلهة المشركين آلهة، في غير موطن، وهي لا تؤثر -كما يقولون- في غيرها، ومع ذلك سماها الله: آلهة.

ولكن الفارق بين الله وآلهة المشركين، ﴿**بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ [الحج:٦٢] .

فجملة القول: أن (إله) من حيث اللغة: هو المألوه المعبود، يشمل المعبود بالحق وبالباطل، والله تعالى هو الحق وما سواه هو الباطل.

فصل

قال المجهول النكرة في وصف الله تعالى: (ولا بد لمن ليس له أوّل ولا آخر أن يكون: صَمَداً قادراً مريداً عالماً سَمِيْعاً بَصِيْراً متكلماً حيّاً واحدا).

أقول: لازم هذا القول أن بقية الصفات ليست لازمة الوصف بالله تعالى، ولهذا وقف الماتريدية والأشاعرة على هذه الصفات دون غيرها للاقتضاء العقلي لا للثبوت النقلي الدال على هذه الصفات، وهم فيما يزعمون أن العقل لا يوجب إلا هذه الصفات، ثم هم بعد ذلك في مضمون هذه الصفات يخالفون مفهوم الكتاب والسنة، وكلام السلف الصالح، كما فسّر هذا المجهول الصمد بالذي: (لا يحتاج إلى شيءٍ من جسمٍ أو زمانٍ أو مكان أو جهةٍ أو غير ذلك من صفات المخلوقات؛ لأنها لا يصِحّ وجودُها في شيءٍ إلا بمخصّصٍ غيرِه) ونحو ذلك.

كما أنهم لما حكّموا الواجب لله تعالى من الصفات إلى عقولهم، وكانت عقولهم مختلفة المشارب: اختلفوا اختلافاً كثيراً فيما يوجب العقل لله تعالى وما لا يوجبه، فحصل بينهم من الخلاف ما يُعد ولا يُحصى، وتتابعوا في ظلمات الضلال ﴿**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف:٣٨] .

فكانوا كما قال الإمام أحمد عنهم في أول كتابه الثابت عنه المسمى بـ "الرد على الجهمية": (مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب).

وتفسير الصمد بالذي: (لا يحتاج إلى شيءٍ من جسمٍ أو زمانٍ أو مكان أو جهةٍ أو غير ذلك من صفات المخلوقات؛ لأنها لا يصِحّ وجودُها في شيءٍ إلا بمخصّصٍ غيرِه).

تفسير باطل؛ وتفسير السلف يدور على معانٍ منها أنه السيد الذي يلجأ إليه عند الشدائد والحوائج.

وقال بعضهم: هو السيد الذي تكامل سؤدده وشرفه وعظمته، وعلمه وحكمته.

وقال بعضهم: هو الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ ، وعليه فما بعده تفسير له.

وقال بعضهم: هو الباقي بعد فناء خلقه.

وقال بعضهم: هو الذي لا جوف له، ولا يأكل الطعام.

وليبحث هذا المجهول في تفاسير السلف لكلام الله تعالى وله من السنين ما شاء؛ هل يجد عن واحدٍ منهم من فسر الصمد بمن (لا يحتاج إلى شيءٍ من جسمٍ أو زمانٍ أو مكان أو جهةٍ أو غير ذلك من صفات المخلوقات).

وبينه وبين ذلك خرق القتاد، وغرس النبات في الرماد!

ومراده بنفي الجسم: نفي مباينة الله تعالى لخلقه بذاتٍ لا تماثل ذواتهم، والله تعالى يقول: ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل:١٧] .

ومراده بنفي الزمان: تعطيل الله تعالى من أفعاله التي يفعلها بمشيئته والله تعالى يقول: ﴿**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرَّحمن:٢٩] .

ومراده بنفي المكان: نفي استواء الله على عرشه والله تعالى يقول: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥] .

ومراده بنفي الجهة: نفي علو الله تعالى، والله تعالى يقول عن نفسه: ﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾ [الملك:١٦] .

ونبينا ﷺ يقول: (ربنا الله الذي في السماء).

فهل هذا القول من هذا المجهول النكرة إلا محض المحادة لله ولرسوله ﷺ؟!

فصل

قال المجهول النكرة: (وما ورد في نصوص الدين مما يوهِم بأنّ لله تعالى جسماً أو مكاناً أو جهةً أو غير ذلك من صفات المخلوقات، فلا يُرادُ بها هذا الوَهْم، وإنما هي من باب المَجَاز الذي هو: استعمال اللفظ في غير موضوعه الأول).

أقول: لا غرابة في هذا القول، فهو تبيع لغيره من أهل الضلال، حيث رأوا أن أخبار الصفات ظاهرها يدل على الباطل بل على محض الكفر وصريح التشبيه! كما يقول فخرهم الرازي في "المطالب العالية"عن أخبار الصفات بضلاله وحيرته: (إن الأخبار المذكورة في باب التشبيه بلغت مبلغاً كبيرا في العدد ، وبلغت مبلغاً كبيراً في تقوية التشبيه ، وإثبات أن إله العالم يجري مجرى إنسان كبير الجثة عظيم الأعضاء ، وخرجت على أن تكون قابلة التأويل!) [١].

ويقول الصاوي في حاشيته على "الجلالين" في تفسير سورة الكهف: (لا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية! فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل! وربما أداه ذلك للكفر لأن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة من أصول الكفر)[٢].

ومثله قول عليش المالكي: (إن كثيراً من القرآن والأحاديث ما ظاهره صريح الكفر! ولا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم)[٣].

ومثله قول عالم الأزهر! يوسف الدجوي: (يتمسك كثير من الناس بظواهر الآيات وهو غلط فاحش يؤدي إلى الكفر ...)[٤].

---

[١] (المطالب العالية:٩/ ٢١٣).

[٢] (حاشية الصاوي:٣/ ١٢-١٣).

[٣] (تنزيه السنة والقرآن: ص ٣٤) للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي .

[٤] (مجموع مؤلفات وفتاوي الدجوي: ١/ ٣٨٧) .

ومثل هؤلاء ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية عن أحد أئمة المتصوفة الزنادقة حيث قال: (حدثني الشيخ العالم العارف كمال الدين المراغي شيخ زمانه انه لما قدم وبلغه كلام هؤلاء في التوحيد قال قرأت على العفيف التلمساني من كلامهم شيئاً فرأيته مخالفا للكتاب والسنة، فلما ذكرت ذلك له، قال: القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك ومن اتبع القرآن لم يصل إلى التوحيد ...)[1].

وصرح المجهول النكرة بمثل قول هؤلاء! لما سئل: ما الحكمة من الخطاب بهذه الألفاظ والجُمل التي أشكل على المبتدعة والجهال فهمها؟

فقال: (إن الحكمة الخطابية: كونها من بلاغة اللغة العربيَّة التي جاء الخطاب بها، ويعبر بها عن الغائب، ويحصل منها معان زائدة على المُحْكَم، والحكمة العقدية: كونها تمثيل لتعريف العقلاء بالله تعالى؛ إذ الحادِثَ لا يَعْرِفُ إلا حادثاً....).

فعلى قوله فأخبار الصفات لا يراد بها إلا التنزل لعقول البشر- بما ظاهره التشبيه! وهذا من أسخف ما يقال ويسمع! إذ كيف يتكلم الله بما ظاهره الباطل لهداية الناس؟

وذكر المجهول النكرة كلاماً ساقطاً في تقرير صحة المجاز، يريد بذلك جرّه إلى أخبار الصفات، والباب غير الباب، والسبيل غير السبيل، وشرح ذلك يطول، وقد أجاد شيخ الإسلام ابن القيم في "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة" في نسف هذا الطاغوت الذي صدوا به الناس عن سبيل أهل الحق، فليراجع، ولكن لطالب الحق أن يتأمل منتهى قول هذا المجهول النكرة بما يعلم بطلانه من لديه أدنى دراية وعلم؛ حيث أننا لو قلنا أن المراد بأخبار الصفات هو محض المجاز الذي لا يراد ظاهره، فإن أخبار الصفات مستفيضة في القرآن الكريم، وأكثر الآيات مختومة باسمٍ متضمنٍ لصفة من صفات الله تعالى، فعلى هذا القول الفاسد يكون:

---

[1] (مجموع فتاوى ابن تيمية:٢/ ٢٤٤).

أكثر القرآن مجازاً !

ويكون أكثر القرآن لا يراد به ظاهره!

وهذا أقبح ما يقال، وإلا فكيف يكون القرآن هدى ونوراً وبياناً للعالمين، وأكثر آياته مجاز لا يراد ظاهرها؟!

فصل

قال الجهمي المجهول النكرة في تفسير وصف الله تعالى بالمتكلم: (يَدُلّ على كل شيء).

قلت: وهذا قول باطل، مخالف للمنقول والمعقول، فالدلالة على الشيء لا تسمى كلاماً، وقد تتحقق من الحي ومن غيره، فتتحقق بالكلام والإشارة والكتابة والإلهام، وهذا كله لا يسمى كلاماً.

فتفسير هذا المجهول من محض كلام الجهمية الذين أنكروا كلام الله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، إذ الكلام هو اللفظ بالحرف والصوت، والله تعالى متكلم بحرف وصوت، كما قال عن كلامه ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف:١٠٩]، وهو صوت فيه النداء والمناجاة كما قال تعالى ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الشعراء:١٠] وقال تعالى: ﴿**وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا**﴾ [مريم:٥٢]، وقال النبي ﷺ في وصف المحشر: (ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) رواه أحمد وغيره.

والله تعالى يقول: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ**﴾ [الأعراف:١٤٣] وقال: ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ [النساء:١٦٤] وهذا تأكيد يبطل دعوى المجاز.

فصل

قال المجهول النكرة في تفسير اسم (الواحد) لله تعالى: (ليس يَتَرَكب من أجزاء، وليس له شريكٌ أو ندٌّ، وليس لغيره تأثيرٌ في العالم، وإلا احتاج لمُرَكِّبٍ وبطلت ألوهيّته وما انتظم شيءٌ في العالم).

قلت: هذا كلام لبس فيه الحق بالباطل، و(نفي تركب الله من أجزاء) لم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام السلف الصالح، وهذا ينقض قول المجهول في أول كلامه عن علامات أهل الحق أنهم (لا يُثبتون إلا ما نصَّ الدين على ثبوته اسماً أو مُسَمّى، ولا ينفون إلا ما نصّ الدّيْنُ على نفيه اسماً أو مُسَمَّى).

فأين نفي (الأجزاء) عن الله تعالى في كلام الله تعالى أو كلام الرسول ﷺ أو كلام الصحابة والتابعين وأئمة الدين؟

إن نفي (الأجزاء) ونحوها لم يرد إلا على لسان أهل التجهم والضلال، وإلا فأهل السنة لا يثبتون الأجزاء ولا ينفونها حتى يفصح المتكلم عن مراده منها، وهذا المجهول وجنسه قصدهم معلوم من نفي الأجزاء، وهو نفي الصفات، فالله تعالى وصف ذاته بأن له: وجها ويدا وأصابع وعينين وسمعاً وقدماً وساقاً، وليست هذه أجزاءً ولا أبعاضاً كأجزاء وأبعاض المخلوقين، بل هي صفات الله تعالى على الوجه اللائق به.

وقد ذكر الإمام البخاري في "صحيحه" على كل صفة من هذه الصفات التي يسميها هذا المجهول النكرة باباً مستقلاً أدرج تحته عدة أحاديث، فذكر: باب ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص:٨٨] دلالة على صفة الوجه.

وبعده: باب قوله تعالى: ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ [طه:٣٩] وقوله: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾ [القمر:١٤] دلالة على صفة العينين.

وبعده بباب: باب قول الله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] دلالة على صفة اليد.

وبعده: باب قول النبي ﷺ: (لا شخص أغير من الله) دلالة على إثبات الذات، وأنه منفرد بذاته يقال عنه: (شخص) و (شيء).

وعقد بعده بابا مؤيداً لما سبقه، فقال: باب ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ﴾ [الأنعام:١٩] فسمى الله تعالى نفسه شيئاً، وسمى النبي ﷺ القرآن شيئاً وهو صفة من صفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

فهذا يؤيد أنه شيء وشخص موجود بذاته لا يماثل غيره، والجهمية تقول بأن الله: ليس بشيء!

ومثل ذلك صنع الآجري في "الأربعين" وابن منده في "التوحيد" والبيهقي في "الأسماء والصفات" وغيرهم كثير، وهذا كله لا ينقص من حق الله عز وجل، ولا تسمى هذه الصفات أجزاء ولا أبعاضاً، ولا يردها شناعة المشنعين.

فصل

قال المجهول النكرة في المستحيل على الله تعالى: (ومن المستحيل عليه: أن يكون محسوسا متحيزاً .. الخ صفات المخلوقات ليباشر أفعالهم).

قلت: وهذا كلام ليس له نظام، ويرد عليه بما ردّ به على سابقه، وأن نفي أن يكون الله محسوساً أو متحيزاً لم نجده لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام السلف الصالح، ولا نقول إلا : ﴿ **هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة:١١١] .

ومرادهم معلوم، فنفي أن يكون الله محسوساً هو نفي أن يكون له ذاتٌ موصوفة بصفات الكمال، إذ لو أثبت لله تعالى ذاتاً مباينة للذوات، وقال بما لا يستطيع نفيه أن الله موجود؛ فإن وجود ذاته مع سائر الذوات لابدّ أن يكون بين ذاته وسائر الذوات من الجهات الحتمية لكل الموجودات!

والخالق بالنسبة للمخلوق لا يكون إلا في العلو لا في غيره.

وقد قلت لجهميٍّ في بعض مجالس المناظرة: لن أسألك أين الله! ولكن أسألك إن كنت تقر بأن الله موجود، أين أنت بالنسبة لله؟

فحاد الجهمي ولم يأتِ بجواب.

فإن كان هذا المجهول يعتقد أن الله موجود، فالسؤال له: أين الشمس والقمر، وأنت وأرضك، والكون كله بالنسبة لله تعالى؟

فإن قال: لا مكان للكون بالنسبة لله! ألحد وقال بمقالة أهل الحلول والاتحاد.

وإن قال: الكون تحت الله! وصلنا به إلى المطلوب وأن الله تعالى فوق الكون وسائر المخلوقات.

فدلّ هذا كله على أن نفي الحسية إنما المراد به نفي وجود الذات وجوداً يباين به سائر الموجودات.

ونفي التحيز ناتج عن نفي الحسية، ليصل إلى نفي العلو!

فإن لم يكن لله تعالى ذاتٌ تبيان الذوات، ولم يكن الله تعالى عالياً على كل المخلوقات، فأين يكون؟!

وكيف يسأل الصحابة عمن لا ذات له ولا مكان بقولهم للنبي ﷺ: أين كان ربنا؟

أم كيف يسأل النبيُّ ﷺ الجارية: أين الله؟

وهو لا أين له، ولا مكان له، ولا جهة هو فيها؟ ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [يونس:١٨].

فصل

قال المجهول النكرة: (اشتراكَ الخالق مع المخلوق في اسم صفةٍ من الصِّفات لا يعني الاشتراك في المُسَمَّى، لأنّ الله تعالى مُنَزَّهٌ عن ذلك؛ قال الله جل جلاله: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾ [البقرة:١٦٣]، ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ [الاخلاص:١]، فبيّن سبحانه بإطلاقه لفظ (الواحد) و (الأحد) على عمومه المستغرق لجميع معانيه وأفراده: أنه لا يشترك مع غيره في معنى من المعاني جملة أو تفصيلا).

هذا من كلام المعتزلة لا من كلام أهل السنة، حيث ظنوا أن (التوحيد) وهو نفي الصفات عن الله تعالى لما توهموا أن (الإثبات) يلزم منه (التشبيه) فاستدلوا بنصوص الأحدية على نفي الصفات، ونصوص الأحدية لا تنفي الصفات، وذلك لأن الصفات للخالق والمخلوق تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صفات للمخلوق لا يوصف بها الخالق مطلقاً.

القسم الثاني: وصفات للخالق لا يوصف بها المخلوق مطلقاً، وأمثلة هذين كثيرة جداً تقدم بعضها في أول الكلام، عند الكلام عن ضابط النقائص التي يجب أن تنفي عن الله تعالى.

القسم الثالث: صفات أضيفت إلى الله تعالى، وأضيفت إلى المخلوق، فلا تنافي أحدية الله تعالى، وهي حقيقة على ظاهرها في الله وفي المخلوق، ولكن يثبت أصل معنى الصفة، أما الكُنْه والكيفية فلا يعلم صفة الله تعالى إلا هو.

فالله تعالى وصف نفسه بالقدرة فقال: ﴿**إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة:٢٠] ووصف المخلوق بالقدرة فقال: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ**﴾ [المائدة:٣٤] .

ووصف نفسه بالحياة فقال: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥] ، ووصف المخلوق بالحياة فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠] وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٥].

ووصف نفسه بالسمع والبصر فقال: ﴿إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] ، ووصف المخلوق بذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان:٢] .

ووصف نفسه بالكلام فقال: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] ، ووصف بعض خلقه بالكلام فقال: ﴿وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف:٥٤] وقال: ﴿اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥] .

وغير ذلك من الآيات الدالة على بعض الصفات التي جاءت إضافتها للخالق تارة وللمخلوق تارة، وهي في الخالق والمخلوق حقيقة على ظاهرها، كلٌ بما يليق به، وإثبات القدر المشترك يسميه أهل التعطيل: تشبيها، وليس هو بتشبيه.

فدعوى استغراق الأحدية في كلام المجهول في غير محلّها، فالأحدية مستغرقة في تمام الربوبية واستحقاق الألوهية وكمال الأسماء والصفات، فما سواه ناقص بالنسبة له.

فيد الله تعالى ليست كيد الإنسان، ولله يد وللإنسان يد، وكل يده على ما يليق به، ولله المثل الأعلى.

فصل

تكلم المجهول النكرة عن حديث: (إن خلق الله آدم على صورته)، وقال: (هذا الحديث لا يدل على وجود اشتراك حقيقي بين الخالق والمخلوق، كما لا يدلّ على وصف الله تعالى بالصورة؛ إذ الاشتراك الحقيقي في الذات أو الصفات يوجب الاشتراك بالحكم الوجودي بأن يكون الخالق مخلوقا أو العكس، والصورة من صفات المخلوقات والله تعالى منزه عنها).

قلت: وهذا كلام باطل؛ من حيث أصله الذي بني عليه، حيث بدأ الكلام بنفي الاشتراك الحقيقي، ولم يقل أحد بهذا النوع من الاشتراك، وليس الخالق كالمخلوق، ولكنه اشتراك من حيث الإطلاق ومعنى الصفة، كما تقدم، فلله عز وجلّ صورة، وللمخلوق صورة، والقول في الصورة كالقول في القدرة والسمع والبصر والكلام والحياة فيما تقدم، وقد تكلمت عليه بالتفصيل في كتابي "إظهار العوار" فليراجع.

وما فسّر به المجهول الحديث هو بعينه تفسير الجهمية، حيث أعاد الضمير على آدم عليه السلام، وقد قال الإمام أحمد: من قال : إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي ، وأيُّ صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه ؟[1]

وقوله عندنا مقدم على قول عبدالقاهر البغدادي والسيوطي وغيرهما.

بل قول النبي ﷺ عندنا مقدم على قول الجميع وقد روى الإمام عبدالله بن أحمد في كتاب " السنة " ، وابن خزيمة في كتاب "التوحيد" ، وابن أبي عاصم في " السنة " ، والآجري في " الشريعة" ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" وغيرهم -كلهم بإسناد صحيح- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن**).

---

[1] (طبقات الحنابلة: ١/ ٣٠٩).

وقد **صحح** هذا الحديث -بهذا اللفظ- إماما الحديث وعلله **أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه**، وقال إسحاق بن راهويه : صح عن رسول الله ﷺ : (**أن الله خلق آدم على صورة الرحمن**).

وقال الكوسج : سمعت أحمد بن حنبل يقول : هذا الحديث صحيح لا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي.

نقل ذلك جماعة منهم ابن بطة في "الإبانة"[١]، والحافظ الذهبي في **"الميزان"**[٢]، وابن حجر العسقلاني في "فتح الباري"[٣].

وقال الآجري : (**هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها ولا يقال فيها : كيف ؟ ولمَ ؟ ، بل تستقبل بالتسليم والتصديق ، وترك النظر كما قال من تقدم من أئمة المسلمين** ...)[٤].

وصححه شيخ الإسلام **ابن تيمية** في مواطن عدة ، وكذا **الحافظ الذهبي صححه** من حديث ابن عمر في "سير أعلام النبلاء" في ترجمة أبي الزناد ثم قال : (فهذا الصحيح مخرج في كتابي البخاري ومسلم فنؤمن به ونفوض ونسلم ولا نخوض فيما لا يعنينا ، مع علمنا أن الله ليس كمثله شي وهو السميع البصير) انتهى[٥] .

ومعنى قوله : (ونفوض) أي نفوض كيفية ذلك ، ونمرّ الحديث كما جاء .

وكما ذكر الذهبي فالحديث أصله في الصحيحين وغيرهما بلفظ : (إن الله خلق آدم على صورته).

---

[١] (الإبانة:قسم الرد على الجهمية، رقم ١٩٧).

[٢] (ميزان الاعتدال:٢/ ٤٢٠).

[٣] (فتح الباري:٥/ ٢١٧).

[٤] (الشريعة:٢/ ١٠٧).

[٥] (سير أعلام النبلاء: ٥/ ٤٥٠).

وكذا **صحح** رواية : (**خلق الله آدم على صورة الرحمن**) الحافظ ابن حجر العسقلاني في "فتح الباري"[١].

وزعم المجهول أن الحافظ النووي قال عن الحديث: ورواه بعضهم: (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن) وليس بثابت عند أهل الحديث.

بينما الذي قال هذا هو المازري، والنووي مجرد ناقل، فقال: قال المازري هذا الحديث بهذا اللفظ ثابت ورواه بعضهم : (إن الله خلق آدم على صورة الرحمن) وليس بثابت عند أهل الحديث وكأن من نقله رواه بالمعنى الذي وقع له وغلط في ذلك، انتهى[٢].

ولو قيل بضعف هذه الزيادة، فقد أعاد الضمير على الله عز وجل غير واحد من السلف، وضمنوه أخبار الصفات، ولو كان الضمير يعود على آدم أو الغلام لما كان لإيراده في كتب الصفات دلالة، ومنهم:

كما تقدم عبدالله بن أحمد في كتاب " السنة " وابن خزيمة في كتاب "التوحيد" وابن أبي عاصم في " السنة " والآجري في " الشريعة" وابن بطة في "الإبانة" والبيهقي في "الأسماء والصفات" وأبو القاسم الأصبهاني في "الحجة وبيان المحجة" وابن منده في "الرد على الجهمية" والبربهاري في "السنة" وغيرهم.

حتى النووي الذي يفتري عليه هذا المجهول، فقد قال قبل ما نقله عن المازري كما تقدم: (هذا من أحاديث الصفات)، ثم تكلم بما يوافق مذهب الأشاعرة.

فتبين من ذلك أن قول المجهول: (واعلم أن أهل السنة رضي الله تعالى عنهم قد أجمعوا على استحالة الصورة على الله عز وجل) قول باطل، بل الإجماع على خلاف قوله، وأن الله تعالى له صورة يوصف بها، وقد جاء ذكر الصورة في غير هذا الحديث، كما روى

---

[١] (فتح الباري:٥/ ٢١٧).

[٢] (شرح مسلم للنووي:١٦ / ١٦٦).

البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أنا ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال عليه الصلاة والسلام (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟) قالوا: لا يا رسول الله! وفيه (يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، **فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون**، فيقول: أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ، فيتبعونه ...) .

فصل

تكلف المجهول في محاولة تأويل اليد بمعنى القدرة، وأراد أن يثبت أن هذا هو الحق، وهو عين كلام الجهمية، ولن أطيل الكلام في نقضه، وإنما أنقل ما قاله الإمام الترمذي في "سننه" (كتاب الزكاة – باب ما جاء في فضل الصدقة) عند حديث: (إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها..) الحديث : هذا حديث حسن صحيح وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا، وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها، ولا يتوهم، ولا يقال كيف؟ هكذا روي عن مالك وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا: في هذه الأحاديث أمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، **وقالوا إن معنى اليد هاهنا القوة**، و قال إسحق بن إبراهيم : إنما يكون التشبيه إذا قال يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع أو مثل سمع فإذا قال سمع كسمع أو مثل سمع فهذا التشبيه ، وأما إذا قال كما قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول كيف ولا يقول مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال الله تعالى في كتابه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، انتهى .

وسمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن باز رحمه الله تعالى لما قرأنا عليه هذا الكلام من سنن الترمذي وذلك يوم الخميس الثاني من شهر جمادى الآخرة سنة ١٤١٤هـ يقول: هذا كلام عظيم يُكتب بماء الذهب، ينبغي أن يُحفظ عن هذا الإمام، وهو بإجماع أهل الحق من أهل السنة والجماعة قاطبة، وهو إثباتها على اللائق به سبحانه وتعالى بغير كيف ولا مثل،

ولهذا قال السلف: أمروها كما جاءت بلا كيف، وكلام أبي عيسى كلام عظيم جدير بأن ينقل ويحفظ، وهكذا كلام إسحاق، انتهى.

قلت: وفي كلام الإمام الترمذي كفاية، ونحن على دينه وعقيدته، كما أن في كلامه حكاية إجماع أهل السنة على ذلك، وأن من أوّل اليد بالقوة أو القدرة جهمي.

فصل

سئل المجهول النكرة بسؤال مضمونه استشكال عدم وجود هذه التأويلات في كلام النبي ﷺ وكلام الصحابة، وسكوتهم عن هذا وعدم بيانهم له.

فأقر المجهول هذا، وقال: (وليس يعيب سيدنا رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عدم تفصيل البيان).

وهذا كلام باطل؛ ويستحيل أن يبين النبي ﷺ لصحابته أحكام قضاء الحاجة وآدابها، وأحكام الحيض والنفاس، وآداب الأكل والشرب واللباس، ويقصر في بيان الواجب على الناس في أصول اعتقادهم.

أخرج الهروي عن الشافعي قال: سئل مالك عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك: محال أن يظن النبي ﷺ، انه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد ، والتوحيد ما قاله النبي صله الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله) فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد).

ونصوص كلام النبي ﷺ في أخبار الصفات كثيرة جداً، ولهذا -كما تقدم مراراً- صنف غير واحد من السلف مصنفاً ضمّ فيه الكثير من أخبار الصفات، فكيف يقال بأن النبي ﷺ لم يبين ذلك؟

فأين عين هذا المجهول الأعمى عن كل هذه الأخبار؟

وتأمل كيف أن هذا المجهول لما قرر عدم وجود البيان والتفصيل في كلام النبي ﷺ عن صفات الله تعالى أعاد الناس لقواعده وقواعد حزبه؛ فقال: (فبمجرَّد وضع قاعدة في أصل ما، يُسْتَغنى عن التفصيل).

وهذه القواعد مبنية على (القياس) أي قياس المخلوق بالخالق، فعطلوا بها صفات الله عز وجل، وهذا النوع من القياس طاغوت من الطواغيت التي دستها الجهمية على

المسلمين، وقد نسفه شيخ الإسلام ابن القيم في كتابه "الصواعق المرسلة" نسفا، فليراجعه مريد الحق فإنه كلام يبرد الأكباد، ويبطل كيد أهل الإلحاد.

ثم لما جاء الكلام عن الصحابة استأسد المجهول، وقال: (**وأما كون الصّحابة والسَّلف الصالح رضي الله تعالى عنهم لم يبيّنوا ولم يفسّروا، فكذب وافتراء عليهم**).

فقلت: لعله جاء بفصل الخطاب، ووقف على القول الصواب، فجاء بقول ابن جرير عن قول الله تعالى ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**﴾ [القلم:٤٢]: قال جماعة من الصّحابة والتَّابعين من أهل التأويل :يبدو عن أمرٍ شديد.

وتفسير بعض السلف الكرسي بالعلم.

وتفسير قوله تعالى ﴿**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**﴾ [الذاريات:٤٧] بالقدرة.

وهذا كله ليس من محل النزاع، والاتجاه إلى هذه التأويلات من الهوى واتباع المتشابه، فمن تأول هذه الأخبار لم يتأولها لأنها مستحيلة على الله تعالى كقول هذا الجهمي المجهول وحزبه، وإنما لأنها عنده ليست من أخبار الصفات، أما ما تقرر عنده من أخبار الصفات فهو يمضيها على ظاهرها.

فما رأي المجهول فيما رواه إسحاق بن راهويه عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾ [الأعراف:١٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستطع أن يقول من فوقهم علم أن الله من فوقهم ؟

وما رأي المجهول في قول الطبري في تأويل قول الله تعالى : ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥] يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه، ثم روى بإسناده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: خلق الله أربعة بيده: العرش، وعَدْن، والقلم، وآدم، ثم قال لكلّ شيء كن فكان.

وما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة:٦٤] عن ابن عباس حيث قال: ليس يعنون بذلك أن يد الله موثقةٌ، ولكنهم يقولون: إنه بخيل أمسك ما عنده، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وغير ذلك أكثر من أن يحصر من كلام السلف الصالح في تقرير معنى أخبار الصفات وقبوله على ظاهره على الوجه اللائق بالله تعالى كما جمعه أبو إسماعيل الهروي في كتابه "الفاروق" وشيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الفتوى الحموية" وابن القيم في "اجتماع الجيوش الإسلامية" والذهبي في "العلو للعلي الغفار" وغيرهم.

وكل هذا أعرض عنه المجهول وجاء بمثل تلك المواطن التي هي عند من أولها ليست من عداد أخبار الصفات أصلا.

فصل

أنكر المجهول إطلاق لفظ الحقيقة، أو أن يقال: إن الصفات تطلق على حقيقتها، أو أن لله يداً حقيقة، ووجها حقيقة، ونحو ذلك.

فتأملوا كيف يعاتب دعيُّ الإتباع على لفظ يرى أنه من المحدثات وهو الذي ملأ رسالته بالألفاظ المحدثة في حق الله تعالى نفيا وإثباتاً فعاد الآن ليبحث عن لفظ (الحقيقة) وإطلاقها! وما هذا إلا كما قال الله تعالى عن أسلافه من أهل الهوى والضلال: ﴿**وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**﴾ [النور:٤٩].

فإن كان فهمه أباح له بالباطل أن يقيد أخبار الصفات بـ(المجاز).

ففمهنا أباح لنا بالحق أن نقابل الباطل بالحق ونقول بأنها على (الحقيقة).

حيث أن لفظ الحقيقة لفظٌ يوافق منطوق الشارع فيما وصف به القرآن الكريم بأنه نور ﴿**وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [يونس:٥٧] وأن الله جعله ﴿**تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾ [النحل:٨٩] فكل ما فيه مراد على ظاهره على ما يقتضيه السياق من حيث علمنا أو لم نعلم، ومن حيث أدركته فهومنا أو لم تدركه.

فالنار كانت برداً وسلاماً على إبراهيم حقيقة وإن لم ندرك كيفية نارٍ تضطرم وهي في الداخل بردٌ وسلام!

والبحر انفلق كل فرق كالطود العظيم لموسى عليه السلام حقيقة، وإن كنا لم ندرك كيف تماسكت جزئياته وارتفعت حتى يمر موسى وقومه من خلاله!

ونقر أن السماء والأرض سمعتا اللهَ تعالى يقول لهما: ﴿**ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا**﴾، وإنهما قالتا: ﴿**أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصِّلت:١١].

وأن الأيدي والأرجل التي لا لسان لها تنطق يوم القيامة حقيقة لا مجازاً كما قال تعالى ﴿**اليَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [يس:٦٥].

فإذا أجرينا هذه الأخبار عن تلك المخلوقات على وجه الحقيقة، فالله تعالى أجل وأعظم بأن نجري ما أخبرنا به عن نفسه وأخبرنا عنه رسوله ﷺ على ظاهره على الحقيقة، وهو مراد السلف من قولهم (أمروها كما جاءت) أي بغير تأويل بدعوى المجاز المخالف للحقيقة التي يدل عليها ظاهر اللفظ.

فلفظ الحقيقة تأكيد لمعنى قولهم: كما جاءت، جيء به معارضة للباطل بالحق، كما جيء بقول أهل السنة: القرآن كلام الله غير مخلوق، تمييزاً لهم عمن قال: هو مخلوق، وإن كان الاكتفاء بقولهم: القرآن كلام الله كافٍ من حيث الأصل، وهو لفظ القرآن والسنة، ويدل على أنه صفة من صفاته، ولكن لما تطلَّب الأمرُ إضافة ما يتضح به الكلام، ويدفع شبه أهل التخيلات والأوهام، زاد أهل السنة لتحقيق البيان قولهم (غير مخلوق) كما زادوا قولهم: (منه بدأ وإليه ويعود) (تكلم به بمشيئة) (بحرف وصوت) كل ذلك حق جاءوا به لتمييز قول أهل الحق من قول أهل الباطل.

وكذلك الكلام في (لفظ الحقيقة) إنما ذكرها بعض أهل العلم دفعاً لتوهم المجاز، كما قال العلامة أبو أحمد الكرجي القصاب: ولا يوصف إلا ما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه فهي صفة حقيقة لا مجازا[١].

وقال أبو نعيم الأصبهاني عن كلام الله تعالى: وأن القرآن في جميع الجهات مقروءا ومتلوا ومحفوظا ومسموعا ومكتوبا وملفوظا كلام الله حقيقة لا حكاية[٢].

---

[١] (العلو للعلي الغفار: ٢٣٩) وقد انتقدها الذهبي لا لنكارة قولها، ولكن لعدم الحاجة إليها.

[٢] (العلو للعلي الغفار: ٢٤٣).

وفي عقيدة أمير المؤمنين القادر بالله: وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز[١].

وقال أبو عبدالله القرطبي: وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن إستواءه على عرشه حقيقة[٢].

---

[١] (العلو للعلي الغفار: ٢٤٥).

[٢] (العلو للعلي الغفار: ٢٦٧).

فصل

ثم تكلم المجهول النكرة في بقية رسالته عن مسألة علو الله تعالى واستوائه على عرشه تحت مبحث بعنوان (تنزيه الله تعالى عن الجهة والمكان).

فطرح سؤالاً على نفسه، ونصه: (فإن قيل: أين الله؟).

فحاد بالجواب عن جواب رسول الله ﷺ لأنه عنده مقصر في البيان كما تقدم! وجاء بجواب يريد به الانتصار فعاد عليه من حيث لا يشعر، فقال: (الجواب ﴿هو الظاهر والباطن[1]﴾ [الحديد:٣] ظاهرٌ في كلّ شيءٍ بآثار صفاته، باطنٌ بحقيقةِ ذاته ، ليس له مكانٌ ولا جهةٌ، ولا يُمكنُ إدراكُه، كان قبلَ المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كانَ).

قلت: ولو أجاب المجهول بما رضيه النبي ﷺ فيما أجاب به الجارية لكان خيراً له، وألزمَ لطريقة السنة، حيث سأل الجارية: أين الله، فقالت: في السماء، فشهد لها النبي ﷺ بالإيمان بعد ذلك، والحديث في صحيح مسلم وسيأتي الكلام عليه قريباً بإذن الله.

ولكن أجاب المجهول بالآية –مع خطئه في نقلها– وهذه الآية تنقض مذهبه من حيث لا يشعر، وتدل على علو الله تعالى علو مكان.

فقد شرحها النبي ﷺ شرحاً يغنينا عن شرح هذا المجهول، فيما رواه الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه كان يقول عند نومه: (اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء **وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**، وأنت الباطن فليس دونك شيء).

فأفٍّ لهذا المجهول النكرة! حيث لم يأتِ بجواب النبي ﷺ فيقول: الله في السماء.

---

[1] هكذا كتب محرفاً للآية!

ولما جاء بالآية لم يأتِ بفهم النبي ﷺ وتفسيره! وإنما قال: (ظاهرٌ في كلّ شيءٍ بآثار صفاته، باطنٌ بحقيقةِ ذاته، ليس له مكانٌ ولا جهةٌ، ولا يُمكنُ إدراكُه، كان قبلَ المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كانَ).

فأي إتباع للأثر عنده؟

وأي التزام بالسنة لديه؟

وأما تفسيره (الظاهر) بالظاهر في كلّ شيء بصفاته، فهذا قول باطل، فليس كل شيء من المخلوقات تظهر فيه أثر كل صفاته، وإنما يظهر بعض ما نعلم من بعض ما نعلم وما لا نعلم من صفاته عز وجل، وهذا يخالف معنى الاستغراق في الظهور الدال عليه قوله: (الظاهر).

وقوله: (ليس له مكانٌ ولا جهةٌ) قول -منه ومن جنسه- معلوم القصد، ظاهر البطلان، فهم لا يريدون به إلا نفي علو الله تعالى، والله تعالى في مكان كما أخبر عن نفسه أنه ﴿عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] والعرش فوق كلّ المخلوقات.

وهو في جهة العلو وكل الخلق تحت مكانه وتحت قهره وسلطانه، قال عبدالقادر الجيلاني في كتابه "الغنية": أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن تعرف وتتيقن أن اللهّ واحد أحد... إلى أن قال: وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء[1].

وقال القرطبي في "القول الأسنى" في قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥] هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام -وذكر قول المتكلمين الذين يقولون إذا وجب تنزيه الباري عن الحيز فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة، فليس بجهة فوق عندهم لما يلزم عن الحيز والمكان من الحركة والسكون والتغيير والحدوث -قال: هذا قول

---

[1] (اجتماع الجيوش الإسلامية: ٧٩).

المتكلمين، ثم قال: **وقد كان السلف الأول ﷺ لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والعامة بإثباتها** لله كما نطق كتابه وأخبرت به رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته كما قال مالك الاستواء معلوم يعني في اللغة والكيف مجهول والسؤال عن هذا بدعة هذا لفظه في تفسيره وهو من فقهاء المالكية ومن علمائهم[1].

وهذا ابن رشد الحفيد يقول في كتابه "مناهج الأدلة": القول في الجهة وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة في أول الأمر يثبتونها لله سبحانه حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله فظواهر الشرع كلها تقتضي إثباتها لله تعالى –ثم ساق نصوص آيات العلو- ثم قال: إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله متأولا فإن قيل فيها إنها من المتشابهات عاد الشرع كله متشابها [2].

ثم تكلم المجهول بكلام يريد أن يدفع به عن نفسه وجنسه لازم قولهم بوصف الله بالعدم، ولم يأتِ فيه بما يستحق النظر إليه، وهذا اللازم واقع عليهم لا محالة، ونص عليه غير واحد من السلف كما تقدم نقله من قول أيوب السختياني وذكر المعتزلة: (إنما مدار القوم على أن يقولوا: ليس في السماء شيء).

وقول حماد بن زيد: (إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله).

وقول جرير بن عبدالحميد: (كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء إله).

---

[1] (اجتماع الجيوش الإسلامية: ١٦٦).

[2] (السابق: ٢٠٧).

وقول وهب بن جرير: (إياكم ورأي جهم، فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء، وما هو إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر).

وقول أبي معمر إسماعيل بن إبراهيم: (آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله)، نقل ذلك كله عنهم الحافظ الذهبي في كتابه "العلو للعلي الغفار"[1].

[1] (مختصر العلو للألباني: ص:١٣٢، ١٤٦، ١٥١، ١٧٠، ١٨٨).

فصل

وسئل المجهول بقول السائل: فإن قيل : هل يصح أن يقال : إن الله سبحانه (ليس داخل العالم ولا خارج العالم) ، (ولا محايث للعالم ولا مباين منه)...الخ؟

فأجاب بقوله: (نعم يصح!) ثم جاء بتفصيل لا يزيد الكلام إلا زيغاً وانحرافاً، وإلا فهذا القول كفر وإلحاد، وإنكار لوجود الله تعالى، فإن لم يكن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ولا محايث له ولا مباين، فأين يكون؟

فهل هذا إلا الممتنع الأظهر فساداً من العدم المحض؟!

وما أجمل قال محمود بن سبكتكين -لمن ادعى بأن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه-: ميّز لنا بين هذا الرب الذي تثبته وبين المعدوم[1].

كيف وربنا عز وجل يخبر في غير آية أنه خارج العالم فوق السموات وفوق العرش وفوق كلّ شيء.

وأنه يصعد إليه، ويعرج إليه، ويُرفع إليه، وأنه القاهر فوق عباده، وأن عباده يخافون ربهم من فوقهم، وغير ذلك من صريح الدلالات على علو الله تعالى!

ثم سئل المجهول عن معنى قول بعض السلف: بائن من خلقه، فقال: (" البينونة " في مثل هذا القول عند أهل الحق هي "المفارقة والمخالفة" فالمعنى: أن استواءه عز وجل مخالف لاستواء المخلوقات، وهذا يرجع إلى ضابط المخالفة حيث قررناه، وليس معناه اختلاف نوع الاستواء، بأنه مستو بالمعنى الخلقي على وجه مختلف عن استواء المخلوقات؛ لما علمت من بطلانه).

قلت: وهذا كلام ساقط ركيك، فالمباينة هي المفارقة، والمخالفة معنى أوسع من المباينة، فكل مخالف مباين، وليس كل مباين مخالف! وذات الله تعالى مباينة لصفات

---

[1] (مجموع الفتاوى:٣/ ٣٧).

المخلوقين بمعنى الافتراق بين ذاته وذواتهم، فليس شيء من ذاته في مخلوقاته، وليس شيء من مخلوقاته في ذاته.

أما قول الجاهل المجهول: (فالمعنى: أن استواءه عز وجل مخالف لاستواء المخلوقات، وهذا يرجع إلى ضابط المخالفة حيث قررناه، وليس معناه اختلاف نوع الاستواء، بأنه مستو بالمعنى الخلقي على وجه مختلف عن استواء المخلوقات).

فهو قول متهافت، مخالف لصريح القرآن والسنة وكلام السلف الصالح، فليس المراد مخالفة الاستواء من كل وجه لما يعلم من استواء المخلوقات، فمما يعلم عن استواء المخلوق المعنى والكيفية، وأما استواء الخالق فنعلم عنه المعنى ولا نعلم كيفيته، لأن القرآن عربي جاء بلسان عربي مبين، ففهمنا من كلام ربنا أنه ﴿**عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥] ، وقد فسر علماء الصحابة والتابعين الاستواء بالعلو والارتفاع، فهو عالٍ على العرش، ولهذا لما سئل الإمام مالك عن الاستواء قال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول) وهذا ثابت مستفيض عن الإمام مالك، فلو كان الاستواء لا معنى له يعلمه المخلوق من لغة العرب لما قال الإمام مالك: (الاستواء غير مجهول).

وقد قال البخاريّ فِي "الصَّحِيح" قال أَبو العالِية: ﴿اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاء﴾ اِرْتَفَعَ ، فَسَوَّى خَلْقهنَّ، وقال مجاهد: اِسْتَوَى عَلَا.

فصل

نقل المجهول كلام الحافظ ابن حجر في تفسير علو الله تعالى بالعلو من جهة المعنى لا العلو من جهة الحس، وهذا القول من ابن حجر -ومن كان غيره- قول مردود، فعلو الله تعالى علو حقيقي حسيّ أشار إليه النبي ﷺ كما في خطبته يوم عرفة، وكما أشار بأصبعه عند موته وهو يقول: بل الرفيق الأعلى، وغير ذلك من الأدلة المشهورة المستفيضة على ذلك، ونقل كلام السلف الصالح في تقرير هذا الأصل أكثر من أن يحصر في مثل هذا المقام، وقد جمعها الإمام ابن قدامة في كتابه "صفة العلو" وكذا الحافظ الذهبي في كتابه "العلو للعلي الغفار" وغيرهم.

وإنما القصد إيقاف الناظر على خطأ هذا القول، وهذا ينقض قول المجهول لما سئل عن المثبتين هل لهم أدلة على إثبات المكان أم لا، فقال: (قطعا لا ؛ فليس عندهم إلا نصوص موهمة كقول الله جل جلاله: ﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾ [الملك:١٦] وحديث الجارية).

وهذه معاندة في المنقول، ومكابرة في المعقول، وإلا فدلائل علو الله تعالى ومكان العلو متواترة في الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح، بل وعموم المسلمين، ولم يخالف في ذلك إلا من أهل الأهواء.

وزعم المجهول أنها معارضة بأخبار القرب والمعية ونحوه، ولا تعارض بينها وبين تلك الأخبار، فلكل معناه الذي هو عليه عند السلف، وأن أخبار العلو تفيد بصريح ألفاظها على علو المكان، وأما أخبار القرب والمعية ونحوها فهي صريحة في قرب ومعية العلم والإحاطة.

وكذلك قول الله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ**﴾ [الزُّخرف:٨٤] وقوله: ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ**

وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣] ، فالمراد أنه المألوه المعبود في السموات والأرض، فكما يعبد في الأرض فهو يعبد في السماء وعلى ذلك كلام أئمة التفسير قاطبة.

فلا حاجة للتأويل ولكل دليل وجهة هو موليها، أما إن كان ولابدّ من التأويل فإن التأويل إنما يرد على النادر الذي يظهر منه مخالفة الأكثر والأغلب! ونصوص العلو كثيرة جدا من الكتاب والسنة، مع الاقتضاء العقلي السليم من لوازم الجهمية، فتمضى على ظاهرها، ويتجه إلى تأويل ما ظهر أنه يخالفها، أو السكوت والتسليم، كما هو صنيع أهل الإيمان مع المتشابه من كلام الله تعالى، وهذا - كله - من باب التنزل للخصم؛ كيف وليس في الأمر مخالفة كما تقدم، ولله الحمد.

أما قول الله تعالى: **﴿أَأَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾** [الملك:١٦] ، فتفسيره واضح لا يحتمل تأويل المجهول، ولا ما نقله عن القرطبي والقاضي عياض، وأن الله تعالى في السماء أي في العلو، أو على السموات المبنية، وعلى كلا الحالين يدل المعنى على مكان الله تعالى وأنه ليس في الأرض، وليس بلا مكان، بل هو في مكان كما أخبر عز وجل، ومكانه جهة العلو، وأخبر عنه في أكثر من آية بأنه على العرش مستوٍ عليه.

فإن تجرأ هذا المجهول على مثل هذه الآية بتأويلاته ولوازمها فماذا يصنع بما جاء في الصَّحِيحَيْن مِنْ حَدِيث أَبِي الزِّنَاد عَنْ الْأَعْرَج عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : قَالَ رَسُول اللهَّ ﷺ: (لَمَّا قَضَى اللهَّ الْخَلْق كَتَبَ فِي كِتَاب ،**فَهُوَ عِنْده فَوْق عَرْشه** إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)

وَفِي لَفْظ الْبُخَارِيّ: (هُوَ وَضْع عِنْده عَلَى الْعَرْش).

وَفِي لَفْظ لَهُ أَيْضًا: (فَهُوَ مَكْتُوب فَوْق الْعَرْش).

وَفِي "صَحِيح الْبُخَارِيّ" أَيْضًا مِنْ حَدِيث حَمَّاد بْن زَيْد عَنْ ثَابِت الْبُنَانِيِّ عَنْ أَنَس قَالَ: كَانَتْ زَيْنَب تَفْخَر عَلَى أَزْوَاج النَّبِيّ ﷺ وَتَقُول زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ **وَزَوَّجَنِي اللهَّ مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات.**

أليست هذه فوقية المكان؟

وَفِي لَفْظ لِلْبُخَارِيِّ: كَانَتْ تَقُول أَنْكَحَنِي اللهَّ فِي السَّمَاء.

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيث أَبِي صَالِح عَنْ أَبِي هُرَيْرَة قَالَ : قَالَ رَسُول اللهَّ ﷺ: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَة مِنْ كَسْب طَيِّب، **وَلَا يَصْعَد إِلَى اللهَّ إِلَّا الطَّيِّب**، فَإِنَّ اللهَّ يَتَقَبَّلهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدكُمْ فَلُوَّهُ ، حَتَّى تَكُون مِثْل الْجَبَل) لَفْظ الْبُخَارِيّ .

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيث مَالِك عَنْ أَبِي الزِّنَاد عَنْ الْأَعْرَج عَنْ أَبِي هُرَيْرَة عَنْ النَّبِيّ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَة بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَة بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاة الْعَصْر وَصَلَاة الْفَجْر، **ثُمَّ يَعْرُج الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ ، فَيَسْأَلُهُمْ اللهَّ** - وَهُوَ أَعْلَم بِهِمْ - كَيْف تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ).

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيح وَقَالَ: (**ثُمَّ يَعْرُج إِلَيْهِ** الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ) وَقَالَ أَخْرَجَاهُ فِي الصَّحِيح .

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" قِصَّة سَعْد بْن مُعَاذ ، وَحُكْمه فِي بَنِي قُرَيْظَة ، وَقَوْل النَّبِيّ ﷺ: (لَقَدْ حَكَمْت فِيهِمْ بِحُكْمِ الْمَلِك).

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيث سَعْد بْن إِبْرَاهِيم عَنْ عَامِر بْن سَعْد عَنْ أَبِيهِ وَفِيهِ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: (لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ الْيَوْم **بِحُكْمِ اللهَّ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات**).

وَقَالَ اِبْن إِسْحَاق فِي حَدِيثه: (لَقَدْ حَكَمْت فِيهِمْ **بِحُكْمِ اللهَّ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْق سَبْعَة أَرْقِعَة**). وَالرَّقِيع مِنْ أَسْمَاء السَّمَاء .

وَرَوَى التِّرْمِذِيّ وَالْإِمَام أَحْمَد مِنْ حَدِيث الْحَسَن عَنْ عِمْرَان بْن حُصَيْنٍ قَالَ : قَالَ رَسُول اللهَّ ﷺ لِأَبِي: (يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُد الْيَوْم إِلَهًا، قَالَ أَبِي سَبْعَة ، سِتَّة فِي الْأَرْض **وَوَاحِدًا فِي السَّمَاء** ، قَالَ فَأَيّهمْ تَعُدّ لِرَغْبَتِك وَرَهْبَتك ؟ قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاء ، قَالَ يَا حُصَيْنُ أَمَا

إِنَّك لَوْ أَسْلَمْت عَلَّمْتُك كَلِمَتَيْنِ يَنْفَعَانِك، قَالَ فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ قَالَ يَا رَسُول اللَّهَّ عَلِّمْنِي الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتنِي ، قَالَ : قُلْ اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي ، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرّ نَفْسِي) .

وَثَبَتَ عَنْهُ فِي "الصَّحِيح" أَنَّهُ جَعَلَ يُشِير بِأُصْبُعِهِ إِلَى السَّمَاء - فِي خُطْبَته فِي حَجَّة الْوَدَاع وَيُنَكِّسهَا إِلَى النَّاس وَيَقُول: اللَّهُمَّ اِشْهَدْ " .

وَفِي "الصَّحِيحَيْنِ" مِنْ حَدِيث عَبْد الرَّحْمَن بْن أَبِي نُعَيْم قَالَ سَمِعْت أَبَا سَعِيد الْخُدْرِيَّ يَقُول: بَعَثَ عَلِيّ بْن أَبِي طَالِب إِلَى رَسُول اللَّهَّ ﷺ مِنْ الْيَمَن بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيم مَقْرُوظ لَمْ تُحَصَّل مِنْ تُرَابهَا فَقَسَمَهَا بَيْن أَرْبَعَة نَفَر بَيْن عُيَيْنَةَ بْن بَدْر وَالْأَقْرَع بْن حَابِس ، وَزَيْد الْخَيْل ، وَالرَّابِع إِمَّا عَلْقَمَة بْن عُلَاثَة وَأَمَّا عَامِر بْن الطُّفَيْل ، فَقَالَ رَجُل مِنْ أَصْحَابه : كُنَّا أَحَقّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَلَا تَأْمَنُونِي ، **وَأَنَا أَمِين مَنْ فِي السَّمَاْ ، يَأْتِينِي خَبَر السَّمَاء صَبَاحًا وَمَسَاء**).

وعن أَبِي الدَّرْدَاء : سَمِعْت رَسُول اللَّهَّ ﷺ يَقُول: (**رَبّنَا اللَّهَّ الَّذِي فِي السَّمَاء** ، تَقَدَّسَ اِسْمك ، أَمْرك فِي السَّمَاء وَالْأَرْض كَمَا رَحْمَتك فِي السَّمَاء) الْحَدِيث.

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الطِّبّ وإسناده حسن، حسنه جماعة منهم الإمام المجدد شيخنا عبدالعزيز بن باز – رحمه الله –.

وَرَوَى سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرو بْن دِينَار عَنْ أَبِي قَابُوس - مَوْلًى لِعَبْدِ اللَّهَّ بْنِ عَمْرو بْن الْعَاصِ - عَنْ عَبْد اللَّهَّ بْن عَمْرو أَنَّ رَسُول اللَّهَّ ﷺ قَالَ: (اِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْض يَرْحَمكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيّ وَقَالَ حَدِيث حَسَن صَحِيح ، ورواه أبو داود ، وغيرهما ، وهو الحديث المسلسل بالأولية ، ورواه ابن قدامة في أول كتابه " العلو " مسلسلاً بالأولية ، وبأسانيدي أرويه عن مشايخي مسلسلاً بالأولية، فكم من جهمي يحمل هذا الحديث ويشرف بروايته وهو حجة الله تعالى عليه يوم القيامة.

وَفِي "صَحِيح اِبْن حِبَّان" عَنْ أَبِي عُثْمَان النَّهْدِيّ عَنْ سَلْمَان الْفَارِسِيّ عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ رَبّكُمْ حَيّ كَرِيم ، يَسْتَحْيِ مِنْ عَبْده **إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ** أَنْ يَرُدّهُمَا صِفْرًا).

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ الْحَاكِم عَنْ الْأَصَمّ عَنْ مُحَمَّد بْن إِسْحَاق الصَّنْعَانِيِّ حَدَّثَنَا يَزِيد بْن هَارُون أَخْبَرَنَا جَرِير بْن حَازِم عَنْ أَبِي يَزِيد الْمَدِينِيّ: أَنَّ عُمَر بْن الْخَطَّاب مَرَّ فِي نَاس مِنْ أَصْحَابه فَلَقِيَتْهُ عَجُوز وَاسْتَوْقَفَتْهُ فَوَقَفَ عَلَيْهَا فَوَضَعَ يَده عَلَى مَنْكِبَيْهَا حَتَّى قَضَتْ حَاجَتهَا ، فَلَمَّا فَرَغَتْ قَالَ لَهُ رَجُل حَبَسْت رِجَالَات قُرَيْش عَلَى هَذِهِ الْعَجُوز . قَالَ وَيْحك، تَدْرِي مَنْ هَذِهِ ، **هَذِهِ عَجُوز سَمِعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات** ، وَاَللَّهَ لَوْ اِسْتَوْقَفَتْنِي إِلَى اللَّيْل لَوَقَفْت عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ آتِي صَلَاة ثُمَّ أَعُود عَلَيْهَا.

وإسناده صحيح عدا الانقطاع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب ﷺ.

قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد اللَّهَ الْحَافِظ أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْد اللَّهَ مُحَمَّد بْن عَلِيّ الْجَوْهَرِيّ حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيم بْن الْهَيْثَم حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن كَثِير الْمِصِّيصِيّ قَالَ سَمِعْت الْأَوْزَاعِيَّ يَقُول: **كُنَّا – وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ – نَقُول: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْق عَرْشه وَنُؤْمِن بِمَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّة مِنْ صِفَاته.**

وثبت عن عمر بن الخطاب فيما رواه ابن قدامة في " العلو " بإسناد صحيح كالشمس أن عمر بن الخطاب لم قدم إلى الشام استقبله الناس وهو على بعيره ، فقالوا : يا أمير المؤمنين لو ركبت برذوناً تلقاك عظماء الناس و وجوههم ، فقال عمر : ألا أراكم ههنا ، إنما الأمر من ههنا ، وأشار بيده إلى السماء.

قال الذهبي : إسناده كالشمس .

وروى البخاري في " خلق أفعال العباد " عن سعيد بن عامر أنه قال :الجهمية شر قولاً من اليهود والنصارى ، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان على أن الله تعالى على العرش ، وقالوا هم : ليس على العرش!!

قلت : هذه بعض الأخبار ، وغيرها الكثير من أدلة علو الله على خلقه وفوقيته، فأي تأويل يدفع هذه النصوص؟

أما زعم المجهول النكرة أن قول الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [آل عمران:٥٥] لا دلالة فيه على علو الله تعالى، وأنه دليل له! لأنه متأوَّلٍ بما هو معلوم من كون عيسى عليه سلم رفع إلى السماء الثانية!

فيقال: وهل قال أحد أن عيسى عليه السلام رفع فوق العرش؟ إنما المراد إلى جهة العلو، كرفع الأعمال الصالحة في قول الله تعالى: ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر:١٠]، وليس هذا من الميل إلى التأويل خوفاً مما يوهم التشبيه بل هو ظاهر ما تدل عليه الآية، ومجموع الأخبار الأخرى.

فصل

ثم تكلم المجهول النكرة عن حديث الجارية الذي أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه" وزعم أن لفظة (أين الله) غير ثابتة! بل زعم أنها موضوعة مدسوسة على الإمام مسلم فقال: (وقد أشار الإمام البيهقيّ إلى ما من شأنه بيان وضع رواية (أين الله) على الإمام مسلم، حيث قال في الحديث:" أخرجه مسلم .. دون قصّة الجارية، وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه، انتهى [السنن الكبرى٧/ ٣٨٨] فتأمل!!!).

قلت: أما حديث الجارية فهو ثابت صحيح باتفاق، رواه مالك في " الموطأ " من حديث هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن عمر بن الحكم ، ولفظه: (فقال لها رسول الله ﷺ أين الله؟ فقالت: في السماء، فقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أعتقها).

هكذا قال الإمام مالك: عمر بن الحكم ، وهو وهم نبه عليه الأئمة الأعلام .

ورواه الإمام أحمد من حديث يزيد أخبرنا المسعودي عن عون عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية، فقال: يا رسول الله إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله ؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: من أنا ؟ فأشارت بإصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء أي أنت رسول الله فقال: أعتقها.

ورواه أبو داود الطيالسي من حديث يحي عن هلال عن عطاء عن معاوية به ولفظه : (فقال لها : أين الله ؟ ، قالت : في السماء ، قال : ومن أنا ؟ ، قالت : أنت رسول الله ..) .

ورواه مسلم في " صحيحه " : من حديث يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي ، ولفظه: (فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال أعتقها فإنها مؤمنة) .

ورواه أبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي ، ولفظه : (فقال: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مؤمنة).

ورواه أبو داود من حديث يزيد بن هارون قال أخبرني المسعودي عن عون بن عبدالله عن عبد الله بن عتبة عن أبي هريرة، ولفظه : أن رجلا أتى النبي ﷺ بجارية سوداء أعجمية فقال: يا رسول الله إن علي عتق رقبة مؤمنة، فقال لها رسول الله ﷺ: أين الله؟ فأشارت إلى السماء بإصبعها السبابة، فقال لها: من أنا؟ فأشارت بإصبعها إلى رسول الله ﷺ وإلى السماء، أي أنت رسول الله فقال: أعتقها .

ورواه النسائي من حديث يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة قال حدثني عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي، ولفظه : (فقال لها رسول الله ﷺ : أين الله عز وجل؟ قالت: في السماء، قال: فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال: إنها مؤمنة فاعتقها) .

ورواه في " الكبرى " في كتاب (النعوت) بمثل ذلك .

وكذلك رواه سائر من أخرجه من الأئمة كالبخاري في "خلق أفعال العباد"، وغيره .

قال ابن قدامة في " كتاب العلو ": هذا حديث صحيح ، رواه مسلم في "صحيحه" ومالك في "موطئه" وأبو داود والنسائي وأبو داود الطيالسي [1].

فهذه روايات الحديث عند هؤلاء الأئمة ، كلها متفقة على السؤال عن الله تعالى بـ (الأين)، وإخبار الجارية له بـ : أن الله في السماء، وشهادة النبي ﷺ لها بالإيمان.

---

[1] (كتاب العلو: ٤٧).

أما قول الجاهل: (وخالفه فيها من هو مثله وأوثق منه من وجهين: الأول: بدل (أين الله): (مدّ النبي يده مستفهما).

الثاني: بدل (أين الله): (مَنْ ربّك؟) رواها ابن حبان بإسناد صحيح.

و: (أتشهدين أن لا إله إلا الله؟) رواها ابن عبد الرّزاق بإسناد صحيح).

قلت: وهذا كلام من لا دراية له ولا علم لا بالإسناد ولا بالمتن، وحديث هلال أصح ولهذا قدمه مسلم واختاره للصحيح على غيره.

وقول المجهول عن هلال بن أبي ميمونة أنه: ليس بالقوي! منقوض مرفوض، وقد قال الحافظ في "التقريب" عن هلال بن أبي ميمونة: ثقة[1]. وترجم له الحافظ في "التهذيب" (١١/ ٧٣) ولم يذكر فيه جرحاً فمن أين جاء هذا المجهول بتضعيفه؟

أما قوله أنه جاء في رواية: (مدّ النبي يده مستفهما) فهذا تزوير، وإلا فالوارد ما ذكره الذهبي في كتابه "العلو للعلي الغفار" عن عطاء بن يسار قال حدثني صاحب الجارية نفسه قال كانت لي جارية ترعى الحديث، وفيه فمد النبي يده إليها وأشار إليها مستفهما من في السماء قالت: الله، قال: فمن أنا قالت أنت رسول الله، قال: أعتقها فإنها مسلمة[2].

فكما ترى جاء في سؤال النبي ﷺ: من في السماء؟

أما لفظ (من ربك) و(أتشهدين أن لا إله إلا الله) فهو حديث آخر رواه الإمام مالك وأحمد النسائي وابن حبان وغيرهما من حديث الشريد بن سويد في قصة أخرى.

تنبيه: قال المجهول: (وقد أشار الإمام البيهقيّ إلى ما من شأنه بيان وضع رواية (أين الله) على الإمام مسلم، حيث قال في الحديث:" أخرجه مسلم .. دون قصّة الجارية، وأظنه إنما تركها من الحديث لاختلاف الرواة في لفظه).

---

[1] (تقريب التهذيب: ٧٣٤٤).

[2] (العلو للعلي الغفار: ١٥).

وعـزا هـذا إلى "السـنن الكـبرى" (٧/ ٣٨٨) والمثبـت هنـاك إلى قولـه: دون قصـة الجارية، وبقية الكلام إنما هو في "الأسماء والصفات" له (ح٨٩١).

قلت: وهذا وهـمٌ مـن الحـافظ البيهقـي، ولعلـه وقـف عـلى نسـخة فيهـا نقـص، وإلا فالحديث بقصة الجارية مروي في "صحيح مسلم" وقد عزاه إليه بهـذا اللفـظ جماعـة مـنهم ابن منده في "الإيمان" (ح٩١) وهو متقدم على البيهقي.

فصل

ثم تكلم المجهول النكرة عن نزول الله تعالى وخالف صريح المنقول عن النبي ﷺ من نزول الله تعالى، وقد شرحه الحافظ ابن عبدالبر في "التمهيد" بشرح موسع مفيد، ومثله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولست بحاجة للوقوف عند كلام هذا النكرة المجهول عليه، وإنما أكتفي بالإشارة لمن ذكرت لجلالة كلامهم ومتناته.

كما فسَّر المجهول المعراج بما لا يدل على ظاهره، بل قال: (المعراج لا ينعي أن الله فوق السماء!) وهذا صريح في مصادمة قول النبي ﷺ فيما تقدم: (لَقَدْ حَكَمَ فِيهِمْ الْيَوْم **بِحُكْمِ اللهَّ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات**).

وقول عمر رضي الله عنه: (**هَذِهِ عَجُوز سَمِعَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ شَكْوَاهَا مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات**).

وقول زينب رضي الله عنها: (**وَزَوَّجَنِي اللهَّ مِنْ فَوْق سَبْع سَمَاوَات**).

فالإشكال عنده ليس في دلالة لفظ العروج والمعراج، وإنما الإشكال عنده هو دفع الدلالة الظاهرة على فوقية الله تعالى.

كما تكلف المجهول في جعل رفع اليدين إلى السماء حال الدعاء إنما لأنها قبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة! وهذا قول غير واحد من الجهمية قبله، وهو قول ساقط، ينقضه أمران:

الأول: أن قبلة الدعاء على وجه الكمال هي الكعبة المشرفة، كما جاء في غير حديث من صنع النبي ﷺ ذلك، وأما السماء فرفع الأيدي إنما هو إليه لا إلى السماء، ولهذا قال النبي ﷺ فيما تقدم من قوله: (إِنَّ رَبّكُمْ حَيّ كَرِيم ، يَسْتَحْيِ مِنْ عَبْده **إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ** يَرُدّهُمَا صِفْرًا).

وأما الأمر الثاني: فهو أن النبي ﷺ أشار بيده إلى السماء في غير موطن الدعاء، كموطن الإشهاد في يوم عرفة، وموطن الإخبار بالمراد حين موته، وليس في ذلك شيء من

الدعاء فدل على أن رفع اليد إنما هو تجاه الله تعالى، وهذه المقالة نقضها غير واحدٍ من أهل السنة، وإنما أوجزت لمراعاة المطلوب وعدم الاسهاب.

خاتمة

وبعد الفراغ من كتابة التعليقات على هذه الرسالة بقي موجزان أودّ ختم الكلام بهما، وهما:

الموجز الأول: شخصية مؤلف الكتاب، وخلاصة مذهبه.

الموجز الثاني: نشر عقيدة أهل السنة في الصفات بخلاف ما ذكر.

فأقول:

الموجز الأول

شخصية مؤلف الكتاب، وخلاصة مذهبه

من تأمل الرسالة يلحظ بوضوح ضحالة علم كاتبها، وعدم أمانته في النقل، كما تقدم دليل ذلك في أصل الرد، بل يظهر فيها عدم تمكنه من مذهبه الذي يتبناه، كما سيأتي.

ويظهر أن كاتبها يعتمد على ما كتبه كما سبق ذكره في أصول الدين الثلاثة، وتقريراته فيها هي بعينها تقريرات صالح الأسمري في محاضراته المسماة بـ"ما لا يسع المسلم جهله" وتقريرات طارق السعدي في بعض رسائله.

ومن صور جهله قوله: (هو أعظم الكائنات وأشرفها بما تميز به من عقل واختيار) وهذا جهل، فلم يتميز الإنسان على غيره من الكائنات بالعقل والاختيار، فالحيوانات لها عقل واختيار، بل بعض الجمادات لها عقل واختيار كما حكى الله تعالى عن السموات والأرض إذ قالتا: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصّلت:١١] ، وجبل أحد اختار محبة النبي ﷺ والمؤمنين، فقال النبي ﷺ: (أحد جبل يحبنا ونحبه). فدلّ ذلك على من الجمادات من يعقل ويختار، وإنما كرم ابن آدم هو لشرف خلقته بيد الله تعالى، وخلقه من العالم العلوي والعالم السلفي، وتحمله التكليف، وغير ذلك من الأمور المقررة عند أهل العلم.

ومن صور جهله، قوله: (الطبيعة من أرض وسماء وشجر وحجر ودواب) وتسمية الكون بالطبيعة لا أصل لها في الشرع.

ومن صور جهله قوله: (بل لرَأينا أنهم) والصواب: (إنهم).

ومن صور جهله قوله: (لا يُرادُ به شيئاً) والصواب: (شيءٌ).

وقوله: (جملة أو تفصيلا) وصوابه: (جملة وتفصيلا).

وقوله: (وأقر بجهله بمعناه) والصواب: (وأقر جهله بمعناه).

ومن صور جهله وقلة أمانته نسبة تضعيف حديث (خلق آدم على صورة الرحمن) إلى النووي، وتبين في الرد أنه المازري.

ومن صور جهله وركاكة أسلوبه، قوله: (إنَّ فيما خاطبنا الله تعالى فيه لنعلَم بَيَّنَ أن أوصافه مما يستحيل أن نُدرك)، والركاكة واضحة على كلامه، وخبر إنّ الأولى (مفقود!).

ومن صور جهله تضعيف حديث الجارية في "صحيح مسلم"، وزعمه بأن روايه هلال بن أبي ميمونة ليس بقوي!

وغير ذلك من المواطن الدالة على ضحالة علم الكاتب.

أما عقيدة صاحب الرسالة: فهو جهمي جبري مرجئ.

وهذا دين الجهمية في الاعتقاد عند من خبر مذهبهم، وقد نبهت على مواطن انحرافه في المعتقد في أصل الرد، وهناك مواطن أخرى في كلامه لم أتكلم عنها طلباً في الاختصار، والكلام عليها يتطلب مزيد تفصيل وإيضاح، منها:

[١] بدأ في تقرير عقيدة بإثبات حدوث العالم، لإثبات وجوب وجود الله تعالى، وهذا من أساليب أهل الكلام في تقرير التوحيد، ويرون بأن هذا أول الواجبات على المكلف، وقد نقضها شيخ الإسلام ابن تيمية في مواطن عدة من كتبه، وكذلك ابن أبي العز في أول شرحه للطحاوية.

[٢] ومنها قوله: (وقد ثبت بذلك: أن خالق العالم لا ابتداءَ لوجوده) ولم يقل لأفعاله لأن الجهمية لا تثبت الأفعال، لأنها عندهم من سمات المحدثات.

[٣] قوله: (وليس لغيره تأثيرٌ في العالم) التعبير عن الخلق بالتأثير من ألفاظ الجهمية، فعندهم أن المخلوق لا يفعل شيئاً مطلقاً، وأن الفاعل الحقيقي لكل الأفعال هو الله تعالى، وهذا دين الجبرية الجهمية، وسلب التأثير عن المخلوق يقتضي ذلك من جهة سلب الفاعل أن يكون فاعلاً حقيقة، وأن الفاعل الحقيقي هو الله.

[٤] قوله: (ومما توسعوا فيه: أنهم أثبتوا له كمالات المخلوقات وما يجوز عليهم! فزعموا قدرته على فعل أشياء حقيرة ممكنة بحقهم: كقدرته على الاستواء الحقيقي الثابت للخلق على ظهر بعوضة على ما في كلام بعض أسيادهم الهالكين!! وأنه يتكلم متى شاء ويسكت متى شاء !! ويتحرك متى شاء ويسكن متى شاء!! .. الخ).

وهذا كلام فيه مواطن من زيف الكلام في أوله، ومن إنكاره لحقيقة الاستواء، وكلام الله بمشئية، وكلامه وسكوته، وقد قال النبي ﷺ: (إن الله سكت عن أشياء) الحديث.

وفي الرسالة مواطن أخرى تركتها ككلامه عن حديث النزول، وتخبطه في الاستدلال بقول الله تعالى ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣] والتوجه إلى الله تعالى بالنبي ﷺ، وغير ذلك.

الموجز الثاني

نشر عقيدة أهل السنة في الصفات بخلاف ما ذكر

اعلم أرشدك الله لطاعته أن أهل السنة والجماعة لا يأخذون أصل الدين وقاعدته إلا من مصدرين اثنين لا ثالث لهما، وهما الكتاب والسنة، وهو معنى قولهم: الكلام في العقائد توقيفي، إذ لا مجال للعقول ولا للاجتهادات في تقريرها ابتداءً.

إذا تقرر ذلك فإن صاحب هذه الرسالة أخطأ في أمرين:

الأول: في الدليل تارة.

الثاني: في الاستدلال تارة أخرى وإن كان الدليل من الكتاب والسنة.

وهذا أصل ضلال كل صاحب مقالة فاسدة، إما بالخطأ في الدليل، فيأتي بدليل غير مقبول من حيث ذاته أو صحته.

أو يأتي بدليل أساء فهمه، وفهم منه خلاف ما فهمه السلف الصالح، والعلماء الراسخون في العلم.

وإلا فأدلة الاعتقاد مقررة في كتب أهل العلم بحججها من الكتاب والسنة، المؤيدة بكلام السلف الصالح دلالة على إصابة الفهم السليم للنصوص، وهذا ما تميزت به كتب أهل السنة خلافاً لكتب الجهمية ومن سار على نهجهم من المخالفين.

فأول واجب على العباد هو الإيمان بالله، والكفر بجميع ما يعبد من دون الله، وهذا معنى قول لا إله إلا الله التي هي العروة الوثقى كما قال تعالى ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، وهو أول ما يجب على العبد معرفته كما قال تعالى ﴿ **فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾

[هود:١٤] وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:١٩] .

وبذلك تتحقق عبادة الله وحده، لأنها غاية الخلق كما قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] .

وأن الإقرار بأحدية الله تعالى تكون من ثلاث جهات:

[١] أحديته من حيث ربوبيته، فلا رب إلا الله ولا خالق غيره، وهو رب جميع العالمين، وما سواه مخلوق مربوب، كما قال تعالى: ﴿الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] .

[٢] أحديته في استحقاقه للعبادة، فكل معبود سواه لا يستحقها، وهو الإله الحق دون سواه كما قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج:٦] ومن صرف هذا الحق لغير الله فهو ظالم مشرك كافر، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] ، وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون:١١٧] .

[٣] أحديته في أسمائه وصفاته، فلله المثل الأعلى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشُّورى:١١] فكما أنه لا نظير له في ربوبيته، ولا في استحقاقه للعبادة، فكذلك هو واحد بصفاته لا ندّ له ولا مثيل ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥] .

والله تعالى وصف نفسه بصفات، ووصف المخلوق بصفات، والاتفاق في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق، وإن اتفق في أذهاننا أصل المعنى لأن القرآن عربي مبين، فنفهم من (الكلام) اللفظ الخارج بحرف وصوت، ونفهم من (الاستواء) الارتفاع والعلو، ونفهم من (السمع) إدراك الأصوات، ونفهم من (البصر) إدراك المرئيات،

وهكذا بقية ما سماه الله تعالى في كتابه، ومن هذا قول الإمام مالك رحمه الله تعالى عن الاستواء: الاستواء غير مجهول، أي معلوم لدينا في اللغة العربية، ولكن لا يلزم من القدر الذي عرفناه أن يكون الله تعالى مثله، فلله وصف الكمال، والتنزه عن الأمثال.

وهذه أنواع التوحيد الثلاثة، وهي المذكورة في أول القرآن الكريم من قول الله تعالى: ﴿**الحَمْدُ للهِ**﴾ الحمد من أفعال المخلوق يصرف لله تعالى، وهذا دليل على توحيد الألوهية، وقوله: ﴿**رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ دليل على توحيد الربوبية، وقوله: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة:٣] دليل على توحيد الأسماء والصفات، ونظائر هذا في القرآن الكريم كثير.

وأهل السنة وسط في أسماء الله وصفاته بين الجهمية والممثلة، فيجمعون بين الإثبات المنزه عن التمثيل، والتنزيه السالم من التعطيل، كما قال تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾ [الشُّورى:١١] .

ويثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه، ووصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف للفظه ولا معناه، ومن غير تمثيل واختلاق النظراء والأشباه، ويقرءون أخبار الصفات كما جاءت، ويُمرونها على ما هي عليه بأكف التسليم والقبول، ولا يخوضون فيها، ويعلمون بما دلت عليه من دلالة الإيمان، ومراقبة الملك الديان سبحانه وتعالى.

ومن صفات الله تعالى اليدان، وقد أثبتهما الله تعالى لنفسه في كتابه في غير موطن كقول الله تعالى ﴿**وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ**﴾ [المائدة:٦٤] وقول الله تعالى ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العَالِينَ**﴾ [ص:٧٥] وقوله تعالى ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ**

﴿بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمر:٦٧] ونحو ذلك من الآيات، ولا تفسر اليد بالقدرة لأن القدرة من صفات المعاني، وصفات المعاني مفردة، والله تعالى رءوف بعباده، بصير بكلامه، لو أرد القدرة لنص عليها ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤] فهو أعلم بنفسه من غيره، وهو ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] فوصفه لنفسه أصدق وأحسن من كلّ أحد، فلماذا لا نرضى لله ما رضي لنفسه، ونصف الله بما وصف به نفسه؟!

وكذلك الرسول ﷺ شهد الله تعالى بسلامة قوله وقول سائر المرسلين، لأنهم أعلم الناس بالله تعالى، وقال عز وجل: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِين﴾ [الصافات:١٨٠-١٨٢] فنزه الله نفسه عن كل وصفٍ وصفه به الملحدون في آياته، وشهد بالسلامة لقول المرسلين.

ومثل هذا يقال في سائر صفات الله تعالى وعز وجل، وهذا موجز ما قرره أهل السنة في مؤلفاتهم، وهي كثيرة مشهورة منشورة منصورة ولله الحمد والمنة.

وإلى هنا أصل في التعليق على هذه الرسالة، مقدماً جانب الاختصار، متجاوزاً بعض ما ظهر بطلانه إلى ما هو أولى بالبيان والكشف، ولولا أن الأخ الكريم السائل ألحّ عليّ في كتابة هذه التعليقات ما كتبتها، والله المستعان وعليه التكلان، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فرغ من كتابتها بقلم الفقير إلى عفو ربه العلي بدر بن علي العتيبي الحنبلي الأثري صبيحة الخميس ٢٣ رجب ١٤٣٠هـ بمنزلي بمدينة الحوية